قرأت لكم

فنان النهايات ناصر الحنش في "منكم من... أنا؟"

محمد الغربي عمران

في نادي القصة يحظر الأستاذ الحنش كل أربعاء .. يدخل قاعة الفعاليات.. تحيته خلع القبعة مع إنحنائة خفيفة.. يبتسم دوما. يجزم كل أديب من رواد النادي بأنه صديقه.. بل ويعرفه منذ سنوات طويلة. مع انه تردد على النادي من سنوات قليلة.

يلفت انتباه الحضور بنظرته للأمور من زوايا لا يراها إلا القلة. يوما تحدث عن تجربته الحياتية ليكتشف الجميع من تدفق ذلك السرد وأسلوبه الساخر والجريء بأنه يحمل روحا خلاقة. وتمنينا أن نسمعه دوما يحكي.

ولم يطل الوقت فقد فاجأ الجميع بإصدار باكورة قصص بعنوان (منكم من... أنا؟) مجموعة في (135) صفحة.. ضمت (11) قصة.

وهنا سنستعرض أهم ملامح هذه المجموعة القصصية الجديدة. أن نحتفي بكاتب ينهل من واقع الحياة.. أبطاله شخصيات نصادفها في كل لحظة.. من نساء ورجال: سائق التاكسي.. الطالب.. بائعة الخبز.. مجنون.. متسول.. عامل.. متقاعد.. إلخ تلك الشخصيات العادية التي احتفى بها ناصر في مجموعته القصصية. وذلك كان أول ملمح من عدة ملامح للمجوعة.

ثاني ملمح كل شخصيات قصصه تمجد العمل والإنتاج والتحصيل.. طلبة.. عمال.. فنيي إصلاح آلات. حراس.. سائقي عربات أجرة.. موظفين. وأصحاب مهن مختلفة بائعات هوى.. وقد تناول ثلاث حالات من بائعات الهوى في مجموعته هذه.. اثنتان واضحة وأخرى مستترة. لكن القارئ سيجد أن الحنش يقدم تلك الكائنات بشكل إنساني .. أي مجني عليهن.. ما يدفع القارئ إلى التعاطف معهن ككائنات جار عليهن الزمن.. والمجتمع والأهل.

الملمح الثالث لقصص المجموعة أن تلك القصص تتناول وتعالج قضايا معاشه .. مواضيع أعيشها أنا وأنت. من شخصية المتقاعد وما يعانيه بعد الاستغناء عنه.. إلى ذلك الأب والأخ الذي نذر نفسه في سبيل تربية وإعالة وتعليم أبنائه وأخوته ليجني الجحود في نهاية المطاف. إلى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وخاصة جشع الرجل حين ينقاد وراء شهواته من خلال التعدد والطلاق المتكرر.. أو أولئك الذين يوظفون قوادات للبحث عن فتيات جار عليهن الزمن ليشبعوا دناءات أرواحهم المتفسخة. أو ذلك الأب الذي لايهمه مشاعر ابنته أو مستقبلها فيزوجها لمن يدفع أكثر.. هي مواضيع مجتمعية عديدة يشعر القارئ والقارئة بأنهما أبطل بعض القصص.

الملمح الرابع واقعية القصص.. حين يقدمها ناصر في قوالب لاينقصها التشويق والإمتاع.. بل أن القارئ يشعر بصدق الكاتب وكأنه يخاطبه عن تلك المآسي التي يعيشها أفراد المجتمع مأطرة بعادات ليست من الدين ولا العقل.

الملمح الخامس: الكاتب يهتم في قصصه بالكليات ولا يفضل الجزئيات.. فمثلا قصص تصل إلا العشرين صفحة مثل (منكم من ... أنا؟) و(العدل المفقود..) وغيرهن من قصص المجموعة التي تعالج قضايا اجتماعية تمتد إلى عقود من من السنوات. وتلك المواضيع أو الأفكار أفكار سردية تصلح لروايات.

وقد نجد أن القصص القصيرة في المجموعة أي تلك التي لا تتجاوز الست صفحات كانت أكثر إتقاناً وأكثر نضجاً.. وتأتي على رأس تلك النصوص القصيرة (عيش وملح) و(سائق التاكسي) و(أحبك) تلك القصص التي تناول الكاتب مواضيع إنسانية مؤثرة .. وأجاد من حيث الصياغة .. الحوار .. تعدد الرواة .. العودة بالذكرى إلى ماضي الأيام وبدايات الحكايات.. أن يجعل الضحية تحكي لتظهر لنا بأنها ليست من صنعت أقدارها.

في النصوص الطويلة يشعر القارئ بأن الكاتب يمتلك القدرة على السرد المطول.. وأن تلك الأفكار أفكار روائية. لكنه بقدرته أستطاع أن يقدمها في قالب قصصي.

لكن الحنش برز في ملمح فني آخر أكثر من أي ملمح.. حين أجاد صياغة الجمل الأخيرة في كل نص.. أي أنك تدهش لاختياره تلك النهايات المعبرة والتي يمكنها أن تختزل الكثير والكثير ليختتم بها كل نص بفنية عالية. ولا أبالغ إذا قلت أن الحنش فنان الجمل الختامية باقتدار.

الملفت أن الكاتب قدم لنا في معظم قصص المجموعة شخصية (الطالب).. طالب الثانوية .. الجامعة.. المهني والفني. وكأنه يبشر من خلال تلك الشخصيات بالمستقبل.. ويقول لنا إن التحصيل والتعليم والتأهيل هو سر التطور والنماء.

نتعلم من الكاتب الجميل ناصر الحنش الكثير.. خاصة في التقاط الفكرة وصياغتها .. تلك الأفكار البسيطة التي حولها إلى نصوص جميلة لأفكار ومواضيع نعيشها.

تحية لكاتب رائع.. وكم أتمنى أن يقرأ مجموعته الجميع ليكتشفوا أنفسهم في نصوصها.

هذا الكتاب

البحث عن الذات في (مشروع ابتسامة) لسامي الشاطبي

د. إبراهيم أبو طالب

يظل النوع الأدبي هو الذي يحدد طبيعة بناء النص، ويشكل بنيته بحسب ما جرت عليه أعراف ذلك النوع وممارساته عند الكتابة على اختلاف مدارس مبدعيها واتجاهاتهم الفكرية، وأساليبهم الكتابية، في إطارها التقليدي أو التجريبي، وغالباً ما يكون ذلك عن وعي عند الكاتب وقصد منه لامتلاكه لأدواته الفنية، ونوع (النوفيلا) أو ما يطلق عليه بعض النقاد الرواية القصيرة هو نوع له شروطه وخصائصه وطرائق بنائه، ويمكن العودة إلى مراجع عديدة لمن أراد المزيد، ومنها كتاب أستاذنا الدكتور خيري دومة (تداخل الأنواع في القصة المصرية القصيرة 1990-1960م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998م).

ولعل خلاصة ما يمكن إيجازه عن النوفيلا أنها ذات طبيعة خاصة يكون الموت حاضرا كتيمة أساسية فيها وتغدو نهاية أبطالها مأساوية.

وحينَ نُقارِنُ هذه الخصائص ونبحث عنها في (مشروع ابتسامة) لسامي الشاطبي الذي يطالعنا بها غلافها معلنا أنها رواية (تقع في 42 صفحة من القطع الصغير) دون أي إضافة أخرى كصفة لهذه الرواية تدل على الطول أو القصر، ونحن نعرف أن الرواية لها شروطها وحجمها وموضوعاتها المتشعبة بأبطالها وأحداثها وأزمنتها وغير ذلك من عناصر تكوينها، حتى وإن أخذت في أفق التجريب مدى أقل مما كانت عليه الرواية التقليدية لكنها تحتفظ بأقل تلك الملامح، وكذلك النوفيلا (الرواية الصغيرة- أو القصيرة) فإن لها أيضا طبيعتها كما تقدم، إذن فإننا وبحسب القراءة النقدية لابدَّ أن نضع توصيفا لهذا الكائن القصصي الذي هو بعد النظر يندرج ضمن عوالم القصة القصيرة، لأنها الأقرب إلى نوعها بما تحتويه من عدد شخصياتها المحدودة التي تتركز في (غريب) بطل القصة، و(أمل) بائعة البطاط، ثم من سيقابلهم غريب من شخصيات ينفتح معها السرد بحسب سير القصة، ولا يقلل ذلك من مستواها، ولا من شأنها حين نصنّفها ضمن نوعها الأدبي القصصي لأن القصة القصيرة لها آفاقها، ومنها ما يطول إلى أكثر من مائة صفحة، وليس كل ما كثر في صفحاته صُنف روايةً، لأن هنالك شروطاً للرواية، لا يجهلها كُتّابُها، كما لا يجهلها نقاد السرد، ومن خلال (غريب) هذا البطل الذي سيتداخل في أسلوب عرضه للحكاية بين أسلوب الحوار مع من سيعيشون معه أحداث حكايته وبين أسلوب التداعي الحر، أو تيار الوعي، ولكنه لا يكثر منه، ومن هنا سيبدأ غريب في عرض عالمه الخارجي والداخلي بترابط حينا، وبتناقض أحيانا أخرى، وممن سيقابلهم تأتينا أسماء غريبة بعضها تاريخي وبعضها رمزي، منها: مرثد حارس بوابة المؤسسة المرقمة، وكرب، وإيليعم، ويوم، ومجمل، ومعراد، وغيرهم، وانتهاء بأسماء أهل الكهف- الذين ستنتهي بهم القصة- وهم (مكسلمينا، تلميخا، مرطليوس...إلخ) ص45.

وفي وسط القصة تظهر أسماء لا تبتعد عن الرمزية هي (عدل) وهو اسم يعبر عن قيمة، وهي التي يبحث عنها الجميع في الدولة العادلة، وسيحققها (الخدم) الذين كانوا من الفئات المهمشة في عصور كثيرة، فاستطاعوا "أن يحكموا اليمن قاطبة وطيلة عقود حكمهم نجحوا في نشر قيم العدل الحقة والتآزر الاجتماعي، والتآلف وأشاعوا النظام والقانون بين الناس...) ص41. وهذا من محاولات غريب في البحث عبر التاريخ عن حل، ويأتي الرمز في هذه الجزئية من النص في أن هذه الدولة العادلة تخلصت من التاريخ الذي هو عقدة في حياة بعض شخصيات المؤسسة المرقمة التي اشترطت أن يعرف كل متقدم تاريخه ونسبه حتى سابع جد، وسابع جدة، وهذه الدولة التي حققها الأخدام لا تعترف بفكرة التاريخ، بل إن مجرد ذكر كلمة تاريخ التي ذكرها غريب ليعرف في أي عام هو، عَدَّوْهَا جريمة قضت بخروجه وطرده من دولتهم.

وفي المقابل هناك اسم آخر موغل في التاريخية هو (هرطقلي) جعلوه يتخلى عن الحكم وأصبح في متحف لمن أراد زيارته.

وبالنظر في عناصر القصة نجد الأحداث تتوالى لدعم الفكرة الرئيسة في النص وهي البحث عن الذات، والهروب عبر وسيلة التنقل الفانتاستيكية خلال الزمن باتخاذ عام 2022م -(المستقبل)- مرتكزا للزمن ثم إن هذا الزمن القصصي يذهب في اتجاهين: إلى الحاضر وإلى الماضي، وفي الحاضر سنقف على واقع عاشه المؤلف وعاشته البلاد في 2011م – المؤسسة المرقمة- وهو الخلفية الآنية للقصة، ويتضح بالأحداث والمكان الذي يُضْرَبُ بدبابات الدولة، ودبابات القبائل وجنابيهم وحشودهم، وتغدو هذه المؤسسة التي يحرسها مرثد ويدافع عنها تتلقى الضرب من كل اتجاه، وهي رمز واضح لأي مؤسسة هدمت وتلقت الخراب، وفي مجملها هي رمز لعموم البلد. ثم إن ذلك الزمن يُحَمَّل بالغرائبي الذي ينسجم مع بطل القصة (غريب) بكل ما فيه من الغرابة في خياله وفي

بقية عناصر الزمكانية، وهو في هروب دائم عبر تلك العناصر، ولكي يقترب من الترميز يجعل لها وسيلة عبور من واقع اليمن، وهي ما أطلق عليه مصطلح (العطارة القاتية) حيث يستسلم كل مرة لعبور الزمن، ويعبر به من خلال القات، وفي مجمل القصة كأننا أمام زمن يبدأ من أول فترة التخزينة- وقت تناول القات- إلى نهايتها وبه تنتهي القصة بأحداثها وتنقلاتها الزمانية ماضيا ومستقبلا وحاضرا. (وهو يعلم أنه لن يموت اللحظة ما دامت ورقة القات التي نقلته إلى المستقبل ... ويعيد فتح كيس العلاقية يتناول عددا كبيرا من وريقات القات وينتقل إلى زمن آخر) ص39. وهو بهذا يضع معادلا للتخلف والتأخر وسببا لأشياء تدخل في فلسفة القصة وخلفيتها الذهنية، ولكن دون تصريح واضح، ويظل (غريب) يبحث ويتنقل في الزمان وعند الناس ليتفحص أشكالهم وأفكارهم، ويتعرف على نقائصهم من المشعوذ إلى الحارس إلى صاحب القرارات العلوية إلى أمل –بائعة البطاط– إلى المولدين إلى الخدم ومع كل صنف يقف الراوي ليتحدث عن المسكوت عنه غالبا كمؤخرة امرأة، أو ضرطة رجل، أو قيء أو طراش عفن وغيرها من الكلمات التي تصدم القارئ بهذا القاموس الذي يبعث على التقزز، ولكنه موجود في واقع الناس ولكن تحويله في نص إلى سياق توصيفي كقوله: (صحن مخاط)،...(ملامح الحارس الأشعث الذي يشبه كومة طرش لذيذ الطعم)

إنها صورة تبعث على الغثيان، فأي لذة في ذلك؟!، ولعل القاص كان قادرا على تجاوزها ولن تؤثر على العمل، في حين أنه استخدم في مكان آخر شتيمة (ابن الشريفة) بديلا للشتيمة الشعبية المتداولة بكثرة في حياة الناس، فَلِمَ الترفع هاهنا والوقوع هنالك؟! أم أنها من باب السخرية، وتسمية الأشياء بضدها؟!

ثم إن هناك أفكارا غريبة في عموم القصة تتمثل في الشروط التي يشترطها طالب الوظيفة – وهي تبدو كأنَّها من يوميات الراوي وروتينه الوظيفي- ومن هذه الشروط الابتسامة، والسعادة، وعدم الحزن، بل (القضاء على الأحزان) ص13. وهو طلب غريب من أشخاص مسحوقين بأسباب الفقر والتعاسة، ومنها أيضا فكرة حكم الأخدام ونشرهم للعدل، ومنها التنقل عبر الزمن، ولأن القصة تتحدث عن مؤسسة مرقمة تظهر الحسابات في النص بالأرقام كقول "أمل" (1800 يوم من الفراق و(5) أشهر على وفاة مجمل زوجي الأول، و(528) ساعة على اختفاء زوجي الثاني...) ص15. وهكذا يمضي في اعتماد الأرقام التي تبدو كأنها دقيقة في أعدادها لأن الحساب حاضر لديه حتى حين يستشهد بآيات قرآنية يلتقط مفردة الحساب: "الشمس والقمر بحسبان"، وحين يتحدث عن لقاء (غريب) بأهل الكهف "لبثنا يوما أو بعض يوم"، وتظهر الأرقام في اهتمام الراوي من جديد في الحديث عن مستقبل اليمن (أظهرت المؤشرات السكانية أن عدد سكان اليمن بلغ هذا العام 100 مليون نسمة 70% منهم يتخذون الشارع ملجأً لهم وفقاً للتقرير..) ص33.

ونرى من هذه النماذج وغيرها ولع المؤلف بغرائبية ما يطرح من أرقام، وأسماء، وأحداث، ومن جانب آخر فإنَّ معظم العمل فيه الكثير من الخلاصات الفكرية والوقفات التأملية التي تأتي في جُمَل تمثل نوعاً من الحكمة:

- لا يوجد فرق بينَ الهروب بوسيلة والهروب بدونها، كلنا نفر ابتداءً من بطون أمهاتنا وحتى قبورنا.. ص9.

- أصعب ما يمكن للعقل البشري تقبله أن تطبيق النظام يتم بفوضى، وخلق الفوضى يتم بنظام كيف ..سؤال محير؟! ص12.

- إن الشيطان لا يؤذي بل يغوي..ص23.

هذه وغيرها موجودة كعلامات في عموم النص، وتظل فكرة الهروب هي العنصر المهيمن على النص وبإلحاح، الهروب من الواقع، والهروب من الذات الفردية والجمعية، ثم جلدها أيضا إن اقتضى الأمر لأن واقعاً مأزوماً يعيشه الغريب في وطن تتقاذفه الأزمة، ولا يعرف السائر فيه نهاية النفق، ولا بداية الطريق هو السبب وراء هذه الخلفية المحيرة التي جعلت اللحظة منطلقاً وخلفية لحركة البطل، ثم إنها بعد ذلك كانت سبيلا لجلد الذات والهروب عنها، أي عن هذه الذات في كل اتجاه والبحث عن سبب للسعادة خارج التاريخ الذي هو المتهم الأول في القصة لأنه يقودنا إلى أن نعرف الجد السابع والجدة السابعة في وطن أنهكه الاغتراب، فمن أين له بنقاء هذه النسبة، وضمان صفاء العرق، وتظل فكرة الهروب هي المحور بما فيها الاسم الخاص بالبطل (غريب) الذي يتخذ اللاشيء في حياته سبيلا للمعرفة والبحث، وبالقات – الذي لا تختفي دلالته في النص- يسافر عبر الزمن في كل مرة إلى زاوية مختلفة من الواقع الحقيقي والمتخيل إلى أن ينتهي به مع نهاية اليوم، أي مع نهاية (موعد التخزينة) إلى أهل الكهف الذين سيلتقي بهم ويتعرف عليهم بأسمائهم ويحاورونه مرحبين به كنهاية لعودة الزمن للماضي السحيق البدائي والذي سيستقر فيه غريب في نومتهم (نومة أهل الكهف)، وهو يدل على أن العمل ينتهي نهاية مفتوحة ليس فيها أي مؤشر للابتسامة، ولا لفك شفرة الأحزان، ولا لانفتاح نهاية هذا الطريق المظلم الذي تسير فيه المؤسسة/البلد بمن فيها من موظفين، وحراس، وأصحاب قرارات علوية، ومنفذين سفليين، وحتى من يعمل خارج تلك المؤسسة ممن يقف على الرصيف من الذين أكل عليهم الزمن آدميتهم وشرب من مآسيهم قبل أن يجفف دماءهم، أمثال (أمل) بائعة البطاط، وكذلك الأخدام وغيرهم، فالمصير ما يزال مجهولا والرؤية غائمةً غريبة، تبحث عن خلاص كما يبحث غريب عن خلاص وعن ذات، لا يجدهما سوى في علاقية القات التي بها ومنها ينطلق إلى عوالمه المتنوعة عبر الزمن إلى الأمام مرةً وإلى الخلف مرات، ويبقى السؤال مفتوحا كما القصة، وكما هو مصير (غريب) ومصير مؤسسته المرقمة في عالم رقمي انتهت فيه قيم الإنسان وسادت فيه القيمة الرقمية، ليظل يدوى هذا السؤال الكبير والمحزن، فماذا نشكل نحن في هذا العالم الرقمي؟!، ونحن لا نملك سوى الانغماس في العطارة القاتية، ونهرب من خلال حشو أفواهنا بوريقات القات السحرية، ويظلّ السؤال والمشروع مفتوحين.

سيرة مؤلف:

أبو الأحرار محمد محمود الزبيري

ولد في مدينة صنعاء، وتوفي مقتولاً في قرية (برط)، من بلاد صعدة.

عالم، أديب، مناضل، سياسي، نشأ في مدينة صنعاء، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ المقرئ (أحمد بن عبدالرحمن محبوب)، وكانت تلاوته تجتذب الناس لجمال صوته، ثم درس على القاضي (أحمد بن حسن السرحي)، في الجامع الكبير بصنعاء في علوم اللغة، من نحو، وبيان، ومعان، وبديع.

توفي والده -الذي كان حاكم مدينة زبيد- وعمره أحد عشر عامًا، ثم توفيت والدته؛ فنشأ في كنف جدته لأمه، وأخذ يواصل دراسته في مدينة صنعاء، حتى حاز قدرًا كافيًا من علوم الشريعة، واللغة، والأدب، ولم يبلغ السابعة عشرة، إلا وقد ألم بقدر وافر من المعارف العلمية والأدبية، وأخذ يتطلع إلى السفر إلى القاهرة؛ ليحقق طموحه في التحصيل العلمي، وإرواء ظمئه الفكري والأدبي، فسافر إلى القاهرة عام 1357هـ/1938م، بعد أداء فريضة الحج، وهناك بدأت مرحلة التحول الكبير في حياته، وطنيًّا، وإسلاميًّا، إذ وجد نفسه في بيئة تعجُّ بتيارات هادرة، في كثير من الأنشطة والاتجاهات؛ فهناك النشاط السياسي الذي تقوده الأحزاب، وفي مقدمتها (حزب الوفد)، وهناك النشاط الفكري الذي تقوده عدد من المدارس الفكرية؛ أمثال: (أحمد أمين)، و(عباس العقاد)، و(طه حسين)، و(محمد حسين هيكل)، وهناك النشاط الإسلامي الذي تقوده حركة (الإخوان المسلمين)، بقيادة الإمام (حسن أحمد عبدالرحمن البنا)، ومن خلال دراساته في دار العلوم، أخذت منابعه الفكرية والسياسية تتفتح، ويتشكل وعيه الأدبي، ويزكي دراسته بالاستزادة بالثقافة الإسلامية، فاضطرم يراعه، والتهبت شاعريته؛ ليعلن عن تأسيس أول اتحاد طلابي عربي سنة 1359هـ/ 1940م، بقوله:

بشراك يا قلمي فهذا منهلٌ
صاف وأنت كما علمتك صادي
هذي العروبة تلتقي فتلقها
بتحية الأحباب في الأعيادِ
واعرض بنات الشعر في إيرادها
أو فاعفها من سدفة الإيرادِ

أهلاً بروحك يا وئام ومرحبًا
بك يا عروبة كلنا لك فادِ

السُّدفة: الظُّلْمة.

وبعد ثلاث سنوات من الدراسة في القاهرة، عادَ إلى مدينة صنعاء في منتصف سنة 1360هـ/1940م، وقد تأصلت في نفسه نوازع الحرية، واتصل بمجلس الإمام (يحيى حميد الدين)، ووصف له ما شاهده في القاهرة، علّه يجد استجابة للتغيير من قِبَل الإمام، ثم بدأ في العمل بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أحاله الإمام إلى العلامة (زيد بن علي الديلمي) الرئيس الأول للقضاء؛ ليرفع بشأنه تقريرًا للإمام، ويتبين نوازع دعوته، وواصل (الزبيري) مع عدد من زملائه، كالخطيب (محمد أبي طالب)، والأستاذ (أحمد أحمد المطاع) العمل، وشكلوا تكتلاً إصلاحيًا للحكم، يستخدم الكلمة والقصيدة في توعية الناس، ودعوتهم إلى الخير، فأمر الإمام بحبسهم في سجن (الأهنوم)؛ خشية إخراج الناس عن طاعته، ثم أفرج عنه فسافر إلى مدينة تعز، والتحق مع عدد من زملائه الثوار كالشاعر (زيد بن علي الموشكي)، والشاعر (إبراهيم الحضراني)، والأستاذ (أحمد محمد النعمان)، وآخرين بولي العهد (أحمد بن يحيى حميد الدين)، في محاولة لاكتسابه، ودفعه إلى تبني الإصلاح الوطني، فمدحه (الزبيري) بعدد من القصائد، التي كان يسميها فيما بعد بـ(الوثنيات)، ولكنه سرعان ما يئس من استجابة ولي العهد (أحمد)، الذي أعلن صرخته المشهورة، وتهديده المرعب بأنه سيروي سيفه من دماء العصريين، ففر صاحب الترجمة وعدد من زملائه إلى مدينة عدن عام 1363هـ/1944م، وهناك بدأ المعارضة الصريحة لحكم الإمام (يحيى)، واستمر وزملاؤه، يواصلون نشاطهم السياسي في مدينة عدن حتى قامت ثورة 1368هـ/1948م، ولم يُكتب لها النجاح، وسقطت هذه الثورة، وهو في السعودية. وبفشل تلك الثورة دخل صاحب الترجمة مرحلة أخرى من مراحل حياته، مشردًا طريدًا، لم تقبل أية دولة عربية بقاءه فيها، فاستقر به المقام في الباكستان، التي قبلته لاجئًا فيها بشرط أن لا يمارس أي نشاط سياسي فيها، وكانت باكستان حديثة عهد بالاستقلال، فعمل في إذاعتها ببرنامج ديني، يذاع أسبوعيًّا، وبأجر زهيد، لا يكفيه، واضطر إلى أن يعمل في بيع الأقفال، ويسكن في عش حقير في سطوح إحدى البنايات، وكان شعره في هذه المرحلة من أروع ما أبدعته شاعريته؛ إذ يقول عن نفسه:

أنا طير ليس لي عشٌ
ولا عنوان عش
أنا إما في الفضا أكـ
ـدح أو في الأرض أمشي
ليس يعطيني زماني
راحة في غير نعشي

ويقول:

خذلتني حتى المقادير لما
وجدتني في غمرة الهول وحدي
أتوقى من المصارع كيلا
يتناهى إليكم الخطب بعدي
قد عصاني قلبي وجنت أحاسيسي
وثارت نفسي مع الدهر ضدي

ثم عمل في الباكستان مدرسًا في جامعة (بهاولبور)، مدة قصيرة، ثم ألغي عقده، بعد أن تغير وزير التعليم الذي وظفه فيها، وكان ممن أعانه في منفاه ورعى له غربته ووحشته صديقه الشاعر المرحوم (عمر بهاء الدين الأميري)، سفير سوريا آنذاك في الباكستان، وبينهما مودة وثيقة، ومراسلات شعرية ونثرية، أخرج (الأميري) بعضها في كتاب نشره باسم: (بيني وبين الزبيري)، وقد أخبرني المرحوم (عمر الأميري)، عند لقائي به في منزله بشاطئ (الهرهورة) في المغرب، عام 1990م، نيته في إصدار كتاب كامل، فيه ما لم ينشر لصاحب الترجمة، وكان من أصدقاء الزبيري الأستاذ (عبدالوهاب عزام)، سفير مصر في الباكستان عام 1367هـ/ 1948م.

وفي عام 1371هـ/ 1952م عاد نشاط الاتحاد اليمني في القاهرة، وصدرت صحيفة (صوت اليمن)، وتعددت التيارات السياسية في صفوف اليمنيين في الداخل والخارج، كان الزبيري هو أكثر هذه القيادات وعيًا بالتغيرات السياسية الجديدة بعد خروجه من الباكستان إلى أحضان ثورة (1952م) في مصر، وكان لقصائده، وكتاباته السياسية، وأحاديثه الإذاعية دورها الفعال في قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام 1382هـ/ 1962م، وقد عاد من القاهرة إلى مدينة صنعاء، بعد قيام ثورة 26 سبتمبر، واستقبل استقبالاً شعبيًا كبيرًا، وعُين وزيرًا للتربية والتعليم، ونائبًا لرئيس الوزراء، ثم عضوًا في المكتب السياسي، وزاول عمله بكل إخلاص وحماس، ووضع الأسس لوزارة التربية، وشارك في مختلف الأنشطة السياسية الرسمية والشعبية.

وكان يحز في نفسه، ويقلق مشاعره، نشوب الحرب الداخلية بين النظام الجديد، وبين بعض القبائل المؤيدة لحكم الإمامة، ذلك ما جعله يحمل على عاتقه مهمة الإصلاح بين المؤيدين للملكية ورجال الثورة، معتقدًا أن في مقدوره ذلك، وبذل العديد من المحاولات، لم يُكتب لها النجاح، وأخذ يتنقل بين القبائل، داعيًا إلى السلام في مؤتمرات شعبية، ويعلن بعدها عن تأسيس (حزب الله) الداعي إلى الأخوة، والمحبة، والسلام، ونبذ العداوات.

وكان ينعي على الثورة، وقيادتها، الانحراف عن مبادئها، وأهدافها، والإدمان على استخدام القوة العسكرية لقمع القبائل دون تمييز، إذ كان القصف الجوي، والمدفعي، لا يميز بين موال للثورة، ومعاد لها، مع شمولية دموية، وجرأة في إصدار أوامر الإعدامات بتهمة الرجعية، حتى للأبرياء منها.

وكان ينكر بطش الرئيس المصري (جمال عبدالناصر) في مصر بتيار (الإخوان المسلمين)، وشنق العلماء، وارتمائه في سياسة الاتحاد السوفيتي، وكان ينقم على قيادة الثورة المدعومة من قبل (عبدالناصر) بالجيش المصري، وسلاحه، حتى خرج في وجههم عن صمته. وفارق مدينة صنعاء، وترك العمل ضمن مجلس قيادة الثورة، وانحاز إلى الشعب، قائلاً أشهر وآخر قصيدة في حياته، كانت -والله أعلم- هي سبب اغتياله في بلاد (برط)، ومطلع قصيدته السينية تلك:

هذا هو السيف والميدان والفرسُ
والأمس من ليله الرجعي ينبجسُ

من مؤلفاته: -1 ثورة الشعر. ديوان شعر -ط. -2صلاة في الجحيم. ديوان شعر-ط. وقد صدر هذان الديوانان في كتاب واحد عن دار العودة ببيروت. -3الوثنيات. قصائد قالها في مدح الإمام (يحيى حميد الدين)، وابنه (أحمد)، وهي من تراث (الزبيري) المفقود. -4نقطة في الظلام. ديوان شعر صدر عن دار العودة ببيروت. -5مأساة واق الواق: (رواية استوحى أحداثها من سيرته الذاتية والنهاية المأساوية لقادة ثورة 1948م). -6الخدعة الكبرى. -7مجموعة كتابات إسلامية. -8الإسلام دين وثورة.

وصدرت عنه عدد من الدراسات، والأبحاث، والكتب؛ لعدد من المهتمين والدارسين.

المصدر: موسوعة أعلام اليمن

من ذاكرة المكتبة:

سيرة سيف بن ذي يزن

ملحمة شعبية خيالية تروي حكاية سيف بن ذي يزن الملك اليمني الذي طرد الأحباش من اليمن. وبعيداً عن التاريخ، تُحلق السيرة بعيداً في الأسطورة، فتلبس الملك سيف بن ذي يزن لباساً غير بشري، وتجعل له أصولاً جنية، فأمه إحدى ملكات الجن، وله أخت منهن. وتحكي السيرة عن زوجة سيف منية النفوس، وكيف اختطفها الأحباش واستعادها سيف منهم، كما تحكي عن ولده معد يكرب. وتجعل السيرة من سيف موحداً مسلماً على دين إبراهيم الخليل، ومن الأحباش وثنيين يعبدون الكواكب والنجوم، رغم أن دين الأحباش كان النصرانية.

وفي السيرة إشارات قومية واضحة، كما أن الخيال يجمح بها فيجعل من سيف بن ذي يزن ملكاً متوجاً على الإنس والجن. وتشير السيرة إلى اختفاء سيف في آخر أيامه لاحقاً بأمه في عالمها. امتدت تأثيرات هذه السيرة على امتداد العالم الإسلامي، فدخلت الأدب الماليزي على أنها سيرة الملك يوسف ذي الليزان، وأثرت في الأدب القصصي في تلك البلاد مع السير العربية الأخرى. تقع السيرة في تسعة عشر مجلداً، وهي واحدة من أطول السير العربية. أنتجت اليمن مسلسلاً عن سيرة حياة سيف بن ذي يزن بالتعاون مع خبرات فنية من سوريا.

أخي المواطن.. أختي المواطنة

انتشار فيروس شلل الأطفال في دول المنطقة يهدد مستقبل الطفولة، ووجود أطفال غير مطعمين أو حتى متخلفين عن التحصين الروتيني يمثل نقطة ضعف تمهد الطريق لعودة الفيروس.. تصدوا له بقوة بحرصكم على تحصين جميع أطفالكم دون سن الخامسة.

الحملة الوطنية للتحصين ضد شلل الأطفال الجولة الأولى (٧-٩ ابريل ٢٠١٤م) من منزل إلى منزل بجميع محافظات الجمهورية حتى لمن سبق تحصينه.